

إنقاذ التراث البصري المشترك: كيف استعدادنا مكتبة الرسوم المفتوحة؟

سيث كيلون



المخلص:

يروي المقال استعادة محتوى مكتبة (Open Clip Art Library) بعد توقف موقعها، وما كشفه ذلك من هشاشة الاعتماد على مسؤول وبوابة تواصل واحدة، ويشرح جمع ملفات (SVG) المتاحة وفحص النسخ وإعادة التوجيه، وصعوبة استرجاع أسماء المؤلفين عند غياب البيانات الوصفية. ثم يعرض نشوء (FreeSVG.org) لإعادة إتاحة الرسوم وتصنيفها ووصفها، وتوفير البحث والمشاركة والنسخ الاحتياطي. ويناقش دور (CC0) في إمكان إعادة الاستخدام، مع بقاء معلومات المؤلف ذات قيمة أرشيفية، ويستخلص دروساً في تضمين البيانات الوصفية وإنشاء نسخ مستقلة وقنوات تواصل خارج الموقع، والمساهمة المستمرة في صيانة الثقافة الحرة. ويؤكد أن الانفتاح القانوني يحتاج بنية وعملاً مجتمعياً لضمان استمرار الوصول، وأن إيداع المحتوى على الإنترنت لا يكفي لحفظه.

الكلمات المفتاحية: الثقافة الحرة، الحفظ الرقمي، (Open Clip Art)، (SVG)، استدامة المجتمعات

أطلقت مكتبة الرسوم الجاهزة المفتوحة (Open Clip Art Library)، المعروفة اختصاراً بـ (OCAL)، عام 2004 لتوفير رسوم مجانية يستطيع أي شخص استخدامها لأي غرض، دون اشتراط نسبتها إلى أصحابها أو تقديم مقابل. وكانت استجابة عالم المصدر المفتوح لأقراص الرسوم الجاهزة المتراكمة على رفوف المكاتب المنزلية في التسعينيات، ولمجموعات الرسوم التي توفرها البرامج المكتبية والفنية المغلقة المصدر.

اقتصرت المكتبة أولاً في معظمها على أعمال عدد قليل من المساهمين. لكنها أطلقت عام 2010 موقعاً تفاعلياً جديداً يتيح لأي شخص إنشاء رسوم جاهزة والمساهمة بها باستخدام تطبيق للرسم المتجهي. وسرعان ما استقبل الموقع مساهمات من أنحاء العالم، ومن مختلف مشروعات البرمجيات الحرة والثقافة الحرة. بل أُضيفت إلى إنكسكيب أداة استيراد خاصة بهذه المكتبة.

لكن الموقع المستضيف للمكتبة توقف أوائل عام 2019، دون إنذار أو تفسير. وافترض مجتمعها، الذي بلغ عدد أفراده الآلاف، أنه عطل مؤقت. غير أن الموقع ظل متوقفاً أكثر من ستة أشهر، من دون تفسير واضح لما جرى.

وتكاثرت الشائعات: قيل إن الموقع يخضع للتحديث، وقال مطوره جون فيليبس في رسالة إلكترونية إن هناك ديونًا تقنية تراكمت على مدى سنوات وينبغي معالجتها. وزعم حساب في تويتر أن الموقع تعرض لهجمات حجب خدمة موزعة واسعة، وزعم حساب آخر أن القائم عليه تعرض لسرقة هوية. وحتى كتابة هذا المقال، تعلن الصفحة الوحيدة المتبقية أن الموقع في «وضع الصيانة والحماية»؛ وهي عبارة غامضة، عدا دلالتها على عجز المستخدمين عن الوصول إلى المحتوى.

استعادة الرصيد المشترك:

تظهر المواقع وتختفي بمرور الزمن، لكن فقدان هذه المكتبة فاجًا مجتمعها خصوصًا لأنها كانت تُعد مشروعًا مجتمعيًا. ولم يدرك إلا قليل من الأعضاء أن استضافتها أصبحت تحت سيطرة مسؤول واحد. وهكذا، مع أن الرسوم كانت متاحة للجميع بموجب أداة المشاع الإبداعي (CC0)، فإن الوصول إليها كان عمليًا بيد شخص واحد. ولأن أعضاء المجتمع كانوا يتواصلون من خلال الموقع نفسه، فقد أصبح هذا الشخص متحكمًا بالمجتمع أيضًا.

وعندما تعطل الموقع، فقد المجتمع الوصول إلى أعماله، وفقد أعضاؤه الاتصال بعضهم ببعض. ومن دون الموقع، لم يعد ثمة مجتمع يجمعهم.

في البداية حُجب كل ما في الموقع. وبعد أشهر لاحظ المستخدمون أن قاعدة بياناته ما زالت متصلة، وأن بالإمكان الوصول إلى ملف رسم منفرد بإدخال عنوانه الدقيق. فلم يكن ممكنًا العثور عليه بالتنقل بين صفحات الموقع، لكن من يعرف العنوان يستطيع فتحه في المتصفح. وأدرك المستخدمون ذوو الخبرة التقنية، أو الباحثون عن اختصار الجهد، أن بالإمكان كذلك جمع الملفات آليًا باستخدام أداة لتنزيل الملفات مثل (wget).

يعمل أمر لينكس (wget) بوصفه عميل ويب غير تفاعلي، فلا يتيح التصفح على طريقة فايرفوكس. بل يتصل بالإنترنت ويجلب ملفًا أو مجموعة ملفات ويحفظها على القرص، ثم يمكنك فتحها في فايرفوكس أو محرر نصوص أو التطبيق الأنسب وعرض محتواها.

ويحتاج (wget) عادة إلى تحديد ملف لجلبه. وإذا كنت تستخدم لينكس أو ماك أو إس وثبتت الأداة، فيمكنك تجربة تنزيل صفحة البداية للنطاق التوضيحي بالأوامر الآتية:

```
$ wget example.org/index.html
[...]
$ tail index.html
```

```
<body><div>
  <h1>Example Domain</h1>
  <p>This domain is for illustrative examples in documents.
  You may use this domain in examples without permission.</p>
  <p><a href="https://www.iana.org/domains/example">More info</a></p>
</div></body></html>
```

ولجمع مكتبة الرسوم استخدمت الخيار (--mirror)، حتى أوجه (wget) إلى المجلد الذي يحتوي الرسوم فينزل كل ما فيه. واستمر التنزيل أربعة أيام متواصلة، أي 96 ساعة، وانتهى بأكثر من مئة ألف ملف (SVG)، أسهم بها أكثر من خمسة آلاف عضو. وللأسف تعذر استرجاع هوية مؤلف أي ملف لا يحتوي بيانات وصفية سليمة، لأن هذه المعلومات كانت محبوسة في ملفات يتعذر الوصول إليها بقاعدة البيانات. لكن إتاحة الملفات بأداة (CC0) جعلت ذلك غير مؤثر من الناحية الترخيصية، إذ لا تشترط نسبة العمل إلى صاحبه.

وكشف فحص أولي أن نحو 45 ألف ملف كانت نسخًا من ملف واحد هو شعار الموقع. ونتج ذلك عن إعادة توجيه، لأسباب مجهولة، إلى الشعار؛ وأتاح التحليل الدقيق استخراج الوجهات الأصلية. وبعد 96 ساعة أخرى استُعيدت جميع الرسوم المنشورة في المكتبة حتى آخر يوم عمل لها، بإجمالي يقارب 156 ألف صورة.

تكون ملفات (SVG) صغيرة عادة، لكن هذا يظل مقدارًا ضخمًا من العمل يطرح مشكلات حقيقية. فأولًا، نحتاج إلى عدة غيغابايتات من التخزين المتصل لإتاحة الرسوم لمجتمعها السابق. وثانيًا، نحتاج إلى وسيلة بحث؛ إذ ليس واقعيًا تصفح 55 ألف ملف يدويًا. واثضح أن ما يحتاجه المجتمع فعليًا هو منصة.

بناء منصة جديدة:

كان موقع (Public Domain Vectors) ينشر منذ مدة رسومًا متجهية واقعة في الملك العام، ومع شعبيته، كان مستخدمو المصدر المفتوح يلجؤون إليه غالبًا مصدرًا ثانويًا، لأن معظم ملفاته بصيغتي (EPS) و (AI) المرتبطتين بأدوبي. ويمكن عادة تحويلهما إلى (SVG)، لكن مع فقدان بعض الخصائص.

وعندما سمع القائمان على الموقع، فيدران وبوريس، بفقدان مكتبة الرسوم، قررا إنشاء موقع موجه إلى مجتمع المصدر المفتوح. واختارا، اتساقًا مع ذلك، إطار لاراغل المفتوح المصدر لتشغيله، فوفر لوحة إدارة وإمكانات دخول المستخدمين. كما أتاح لهما نضجه ومثاقته الاستجابة بسرعة لبلاغات الأخطاء وطلبات الخصائص، وتحديث الموقع عند الحاجة. وتحمل المنصة الجديدة اسم (FreeSVG.org)، وقد أصبحت بالفعل مكتبة متينة ومزدهرة للرسوم المشتركة.

ومنذ ذلك الحين يعملان على رفع جميع رسوم المكتبة السابقة، مع العناية بإضافة الوسوم والتصنيف أثناء العمل. وبصفتها منشئي (Public Domain Vectors)، يضيفان كذلك صورهما الخاصة بصيغة (SVG). وهدفهما أن يصبح الموقع المورد الرئيس على الإنترنت لصور (SVG) المتاحة بموجب (CC0).

المساهمة:

يدرك القائمان على (FreeSVG.org) أنهما ورثا مسؤولية كبيرة عن رعاية هذا الرصيد. ويعملان على عنونة جميع الصور ووصفها لتسهيل العثور عليها، وسيتيحان ملف هذه البيانات للمجتمع عند اكتماله، إيمانًا بأن البيانات الوصفية للأعمال ملك لمن ينشئونها ويستخدمونها بقدر ما هي الأعمال نفسها. كما يدركان احتمال وقوع ظروف غير متوقعة، لذلك ينشئان نسخًا احتياطية منتظمة للموقع ومحتواه، ويعتزمان إتاحة أحدث نسخة للجمهور إذا تعطل الموقع.

إذا أردت إثراء المحتوى الإبداعي المشترك في الموقع، فنزل إنكسكيب وابدأ الرسم. وهناك أعمال كثيرة في الملك العام، مثل الإعلانات التاريخية وأوراق التاروت وكتب القصص، تنتظر تحويلها إلى (SVG)، ولذلك يمكنك المساهمة حتى إن لم تكن واثقًا بمهاراتك في الرسم. وُزِرَ منتدى (FreeSVG) للتواصل مع المساهمين الآخرين ودعمهم.

فكرة الموارد المشتركة مهمة؛ فهذا الرصيد الإبداعي يفيد الجميع: الطالب والمعلم واختصاصي المكتبات وصاحب المشروع الصغير والرئيس التنفيذي. وإن لم تسهم مباشرة، يمكنك دائمًا المساعدة في التعريف به. وهذه قوة الثقافة الحرة: إنها لا تتوسع فحسب، بل تتحسن كلما زادت المشاركة.

دروس قاسية:

تعلم مجتمع الثقافة المفتوحة، بين تعطل المكتبة وظهور (FreeSVG.org)، دروسًا قاسية. وأسجل هنا ما أراه أهمها لمن يأتي بعدنا.

اعتن ببياناتك الوصفية: إذا كنت تنشئ محتوى، فساعد أمناء أرشيف المستقبل بإضافة البيانات الوصفية إلى ملفاتك. ويمكن تضمين بيانات (EXIF) في كثير من صيغ الصور والموسيقى والخطوط والفيديو، وتوفر صيغ أخرى واجهات لإدخال البيانات الوصفية داخل تطبيقات إنشائها. واطب على تسجيل اسمك وموقعك أو بريدك العام وترخيص عملك.

أنشئ نسختًا: لا تفترض أن شخصًا آخر يتولى النسخ الاحتياطي. إذا كنت تهتم بالمحتوى الرقمي المشترك، فانسخه بنفسك، وإلا فلا تتوقع بقاءه متاحًا إلى الأبد. قد يصح القول الشائع إن ما يُرفع إلى الإنترنت يبقى فيه، لكن ذلك لا يعني بقاءه متاحًا لك، ولو لم تعد ملفات المكتبة متاحة بطريقة غير معلنة، فمن المستبعد أن ينجح أحد في جمع الصور الخمس والخمسين ألفًا من مواقع متفرقة أو من مجموعات شخصية على أقراص المستخدمين حول العالم.

أنشئ قنوات خارجية: إذا كان وجود مجتمع يتحدد بموقع واحد، رقمي أو مادي، فإن فقدان الوصول إليه يكاد يعني انحلاله. وإذا كنت عضوًا في مجتمع يعتمد على مؤسسة واحدة أو موقع واحد، فمن حقكم على أنفسكم تبادل وسائل الاتصال مع من تهتمون بهم، وإنشاء قناة تواصل تستمر حين يتعذر الوصول إلى الموقع.

فعلى سبيل المثال، يحتفظ (Opensource.com) نفسه بقوائم بريدية وقنوات أخرى خارج الموقع ليتواصل مؤلفوه ومراسلوهم، سواء تدخل الموقع أم لم يتدخل، بل حتى لو لم يعد موجودًا.

الثقافة الحرة تستحق العمل من أجلها: يُنظر أحيانًا إلى الإنترنت بوصفه ناديًا اجتماعيًا للكسالى: تدخل متى شئت، وتغلقه حين تتعب، وتنقل بين الدوائر الاجتماعية التي تريدها. لكن الثقافة الحرة قد تتطلب في الواقع عملًا شاقًا. لا بمعنى صعوبة الانضمام إليها، بل بمعنى ضرورة بذل جهد للمحافظة عليها. وإذا تجاهلت مجتمعك، فقد يذبل ويختفي قبل أن تنتبه.

توقف قليلًا وحدد المجتمعات التي تنتمي إليها، وأخبر شخصًا، على الأقل، أنك تقدر ما يضيفه إلى حياتك. وتذكر كذلك أنك تضيف أنت أيضًا إلى حياة مجتمعاتك.

المراجع:

- <https://creativecommons.org/share-your-work/public-domain/cc0/>
- <https://example.com>
- <https://publicdomainvectors.org>
- <https://github.com/viralsolani/laravel-adminpanel>
- <https://freesvg.org>

- <https://inkscape.org>
- <https://freesvg.org/drinking-coffee-vector-drawing>
- <https://freesvg.org/king-of-swords-tarot-card>
- <https://freesvg.org/space-pioneers-135-scene-vector-image>
- <https://forum.freesvg.org/>
- <https://Opensource.com>